# واقع المصطلح في الممارسات النقدية الجزائرية- مقاربة في التأصيل المصطلحي عند عبد الملك مرتاض-

لخضر حاكمي
كلية الأدب واللغات والعلوم الاجتماعية والانسانية.
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة الدكتور مولاي الطاهر، ولاية سعيدة

(...لأننا إذا لم نسمح بإضافة حرف واحد في مثل هذه الأطوار، في اللّغة العلميّة الجديدة فإنّنا سنظلّ عاجزين عن إيجاد معادلات عربيّة قابلة لاستيعاب المفاهيم العلميّة، استيعاباً عمليّاً لما هو جارٍ في اللّغات الأجنبيّة الحيّة...)

-عبد الملك مرتاض: في نظريّة النّقد، ص136-

محاور المداخلة:

- مقدّمة

أوّلا- المسار المصطلحي بين الأصل الغربي والمراس العربي:

1-1: مصطلحات: قراءة ونقد ولغة ولغة اللُّغة Métalangage

1-2: بين مصطلحي: لساني ولساياتي Linguiste

1-3: بين مصطلحي: سمة وعلامة (Marque et Signe)

1-4: بين مصطلحي: التّبليغ أو الإبلاغ والتّواصل (Communication)

1- 5: مصطلح التّشريح ومصطلح التّقويض: Déconstruction

1-6: التّناص أو التّكائب مقابلاً للمصطلح الأجنبي Intertextualité

1-7: بين المكان والفضاء والحيّز: éspace

1-8: مصطلح الزّمن المقنّع: Le temps masqué

1-9: مصطلح المُواسم: La sémiosis

1-10: مصطلح التّحلِيقسِي مقابل La Psychanalyse

1-11: بين البنيويّة والبِنَويَّة: Le Structuralisme

1-12: مصطلح "رَكْبَرَة": Le syntagme

1- 13: مصطلح "رسالات": Messages

1-14: مصطلح "بَدْعَدَة": Récurrence

ثانياً- خلاصة البحث.

نعتنق ما آل إليه لاعتبارات عديدة: من بينها أنّ مشروعيّة القراءة مشروع سماوي قد صيغت بادرته في أوّل نزول للوحي على المصطفى الكريم، عند قوله تعالى: «اقرأ باسم ربّك الذي خلق»،ثمّ إنّ مصطلحَ القراءة موردٌ تراثي تبدو في استعمالاته ملامح التّأصيل، ولذلك فالدّعوة إليها-أي القراءة- هي دعوة إلى الدُّخول والانضمام، وهي دعوة إلى الفهم والإفهام، بل هي دعوة إلى التعالق والحياة، وبالتالي الاستمرارية والانسجام.

ألفيناالنّاقدَ- ونحن نقرأ له- يساير التطوّراللّسانياتي في حينه، وهذا بتقفّيه للمصطلح مرّةً والإستغناء عنه مرّة أخرى، وذلك حينما يرى تعليلاً أو تدليلاً يبيح الانتقال إلى غيره، وهو في كلّ هذا لايفتأ يبحث في المصطلح عن كلّ مسمّياته، وإذا ما تحقّق من قوّة دالّه، يصرّح -بلا تردّد- عن ضرورة تعدّيه إلى غيره؛ نلفي هذا العمل حين قراءتنا لكتاباته ضمن مجلّة تجلّيات الحداثة العدد الثّاني والرّابع، وكتابيه: في نظريّة النّقد وشعرية القصيدة.

فعلى سبيل التّمثيل نراه يستعمل مصطلح (قراءة القراءة - مقابلا لـــ: Méta-lecteure باللغة الفرنسيّة) ومقابلا للّفظ الانجليزي(Meta reading)، و(قراءة- قراءةالقراءةMéta-Métalecteure) باعتباره مفهوما أقرب إلى(نقد- نقد النّقد Méta métacritique)، فنقد النّقد يعني كتابة نقد على نقد كان قد حصل، بينما نقد- نقد النّقد يعني كتابة نقد على نقد كان قد كُتِب حول نقد آخر، ولعلّ الباحث لايغالي بل نراه يُنتج وجها لسانياتيا على وجه لسانياتي آخر، ولا يكتفي بإراده لمصطلح واحد، مثل "نص النّص"، زاعما أنّ نصَّ النصِّ يستقرّ في الأثر المقدّس ثمّ يأتي بمصطلح "قول على قول"، جاعلا منه أثراً رجعيّاً لـــ: Métalangage.[1]

وهو من كلّ هذا يحاول تأسيس ترجمة مقنّنة، تخضع لقانون مؤهّل يأخذ في الحسبان المفهوم بمدلوله في التّراث حتّى تصير التّرجمة موجّهة نحو مقاصد ما يدعو إليه النّقد الغربي، وما يقصد إليه العرف اللّغوي العربي، فيأتي بمصطلح:لغة اللّغة بديلا- بل مضادًّا وقادحاً-

---

1ـ د. عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة2002م، ص6. وللتوسيع أكثر ينظر:عبد الملك مرتاض: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية1990م،ص94-194، وأيضا كتابه القراءة وقراءة القراءة خوض في إشكالية المفهوم، مجلة علامات -جدة - السعودية،ج15، المجلد 14، سنة 1995م، ص12، وكتابه:بنية الخطاب الشعري: دراسة تشريحية لقصيدة -أشجان يمانية- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1991م، ص15.

ثالثاً- مكتبة البحث.

مقدمة:

تُعدّ فكرة المصطلح من قبيل الاتّفاق الجمعي حول تنعيت الأشياء تنعيتاً لفظيّاً ييسّر للقارئ وللباحث- على حدّ سواء- القبض على المعنى - من خلال المسمّيات- قبضاً يسيراً، ولعلّ هاتيك الفكرة لم تتولّد من فراغ، بل كانت الحاجة إلى تنظيم المعارف هي قطب الرّحى الذي دارت حوله اهتمامات النقاد وأولي الحزم من اللغويّين.

وتعدّ فكرة "المصطلح" بجميع مشاربه - لسانية كانت أم نقديّة- متعدّدة ولا تتّفق على بلورة واحدة تزّاور حيناً إلى التعلّق بالمعنى وتلجأ حيناً آخر إلى الاهتمام باللفظ، وهذا ما يشكّل عقبة مفاهيميّة تجعل من المدلول وجهاً آخر للدّال.

ولقد شهد المصطلح الدّافق إلينا من الخارج نقلات محتشمة له، سيما ما دأبت عليه أقلام النقاد الجزائريّين والفترات التي واكبت انتشار الفكر اللّسانياتي، وهذا ما يقرّر جدلاً أنّ المخاضَ التّرجماتي الجزائري قد يتأبّى على مواصلة التمرّس في نقلنة المصطلح، وإلاّ سيتعثّر- ولو قيد أنملة- إن بقي حبيسَ الفردانيّة دونما ائتلاف جمعوي حول تسنين قاموس مصطلحي موحّد؛ ونحن إذ نتبنىّ في رأينا هذا الإشكال نتوق من جهة أخرى إلى بيان وجهة نظرنا في حدود ما استلهمناه من رؤى في هذا المجال.

تأتي هذه الدراسة استظهاراً لطبيعة الممارسة النقدية في الجزائر وكشفاً عن نمط الأداء المصطلحي لدى النّاقد الدّكتور عبد الملك مرتاض، من خلال ما حبّرته قريحتُه النّقديّة من علميّة في نقل المصطلح الأجنبي إلى العربيّة. وهو إذذاك مايفتأ يقيم البرهان، ويمرّر الحجّة في تكييف عمله النّقدي، ويستفتي في كلّ هذا معالم التّراث قصد نقل المصطلح الدّاخل إلينا، ويُظهر بجلاء مزالق النقاد في تناقلهم للمصطلحات، دونما إحتكام إلى معيار علمي.

لاجرمَ إذن، أنَّ الإنجاز النّقدي الذي حصّلهُ الدكتور عبدالملك مرتاض في حياته العلميّة، يحتّم علينا الوقوف عليه قراءةً وفهماً ونقدًا، ذلك أنّه استطاع بوعي منهجي، وباستقراء محمود، أن يقرأ التّراث العربي قراءة المتبصّر الذي يفيد ويستفيد، وأن يُعايش الحداثة على اختلاف مشاربها، فيستلهم منها أطُرَها ومناهجها العلميّة، ويسبر أغوار النّقد بوعي متسائل، ينساق نحو الغاية حيثما وُجدت، ويدبّج أسلوبه تدبيجَ العارف بخبايا العربيّة، حتّى غدا أسلوبُه متميّزًا يكشف عن قوّة

عن من ترجموها إلى: ماوراء اللّغة، ولغة واصفة[1]، وتبريره في ذلك أنّ السّابقة: Méta تعني الانتماء والاحتواء، وهي في الأصل كلمة إغريقيّة تعني ما يشمل اللّغة.

وكلّ ما أحدثه عبارة عن اشتقاقات لغويّة منتزعة من تلكم الممارسات اللّغويّة التي أحدثها المنظّرون الغربيون في ممارساتهم اللّسانياتيّة المختلفة، محاولة منه إلى ملء الفراغ التّرجماتي العربي وتأصيله، في وقت بات فيه نقل المصطلح لايعدم أن يستقرّ على ثبات في التّسميّة بين النقّاد؛ ولعلّ هذا قد يدخل في ما أشرنا إليه سلفاً، من أنّ الاختلاف حالّ في مدى البون الشّاسع بين النقّاد في نظرتهم للمفهوم.

هذا، وقد يكون من الأفيد الالتفاتُ إلى ضوابط البثّ المعرفي العربي حتّى تتأتّى في نقدنا ميكانزمات التّنميط النّقدي، ومن ثمّ بناء صرح ثقافي يكون بمثابة الانطلاقة لتنظيرات علمية دقيقة تفكّ الخناق عن النّاقد العربي في فضّ نوازع الرّغبة في الآخر ونفي الذّات.

سلك الناقد مرتاض – في تدبيج بعض المصطلحات على اختلافها– مسلكاً نقدياً مزدوجاً، يغور تارةً في التّراث ويجول أخرى في تقفّي المفهوم الغربي، واستخدم لذلك أيضاً بعض قوانين الترجمة العلميّة، من مثل الاشتقاق والتعريب* والنحت وغيرها من الاستراتيجيات الترجماتيّة العلميّة» وفي كلّ الأحوال فإنّ النّاقدَ لاتستهويه العجلة في توظيف المصطلحات واصطناعها، بحكم مبدأ الشّيوع والانتشار والتداول، وإنّما يقف وقفة الباحث المدقّق في الأبعاد العلميّة والمنهجيّة، نظريّاً وإجرائيّاً، للمصطلح في لغته الأصلية من جهة، وفي المقابل العربي للمصطلح لأن يكون بديلاً في الكتابات العربيّة من جهة

---

1- Bassam Baraké:-dictionnaire de linguistique: Français- Arabe avec un index alphabétique des termes arabes, Liban- bayrout.Op.Cit.P:130.

*- يقصد بالتعريب إضفاء الطابع العربي على النص، وذلك بتقويم النص الوسيط الذي يحتوي على كل عناصر معنى النص الأصلي، على ركاكته، مع أخذ مستلزمات الفصاحة والبلاغة في الحسبان، وقد عبّر العرب عن هذه العملية قديما وحديثا بمصطلحات مختلفة مثل: الأعجمي، المعرّب، الاستعارة، الدخيل، التعريب، الاقتراض. (ينظر على سبيل المثال: د. محمد ديداوي، منهاج المترجم بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء المغرب، ط1- 2005م، ص 7، 42. وينظر أيضا: مقال للأستاذ أحمد شقرون بعنوان: الترجمة التقنية ومشاكلها، مجلة المترجم مجلة محكّمة تعنى بقضايا الترجمة يصدرها مخبر: تعليمية الترجمة وتعدد الألسن- جامعة وهران السانية- الجزائر، دار الغرب- وهران، ع 03- أكتوبر، ديسمبر 2001م، ص من ص69إلى ص72.

أخرى»[1]، وهو بهذا يسعى إلى جعل المصطلحات الغربيّة من قبيل الاستعمال العربي، حتّى إذا لم يلق لها وُجُوداً في التّراث، إعتمد على ذاته في تنشئة مصطلح جديد، ثمّ يصرّح به دونما تردّد.

### 2.1: بين مصطلحي: لساني ولسانياتي: Linguiste

الباحث لا يهمّ إلى الاسترسال الانطباعي في بلورة المصطلح، بل تجده يقارن هذا بذاك، ويُخضع المصطلح المترجم إلى التّجريب والنّقد، فإذا استقرّ لديه مايبيح نفي الأوّل وبقاء الثّاني، عمَد إلى الاعتصام بهذا الأخير. نلفي مثل هذا الحكم عند تعريجه على مصطلح: لساني، وذلك عندما رأى فيه لُبساً بين نسبته إلى اللّسان ونسبته إلى اللّسانيات، وأتى بمصطلح "لسانياتي" نسبة إلى اللّسانيات، وقال في هذا الصّدد:»إنّنا اصطلحنا النّسبة التي ننفرد بها على أساس أنّها تنتسب إلى اللّسانيات(علم الألسن) لا إلى اللّسان، فالمهتمّ أو المختصّ بهذا العلم يجب أن يطلق عليه، إذن، لسانياتي»[2]. ووفق هاته الرّؤية نستخلص أنّ النّاقد ينطلق في تأصيله للمصطلح من أصول مسمّياته حتىّ يتّقي زللَ الاصطلاح، ومغبّة النّقل إلى العربيّة.

وهو ما ينفكّ يلجأ إلى استحداث مصطلحات توائم المدلول النّقدي من وجهة نظر تقعيديّة بعدما يتقرّر وجودها، وهذا لأسبابَ ابستيمولوجيّة بحتة، تتنازعه في ذلك روح المقارنة، والتّنقيب في الجذر اللّغوي لأصل المصطلح، وكذا سعة الإطّلاع على المضامين اللّسانية للحضارتين: العربيّة والغربية، وهذا ماجعل من مراسه النّقدي عوناً للنّاقد وللّسانياتي من جهة في تعليميّة الاحتياط من مزالق التّرجمات المصطلحاتيّة، ولعلّ هذا مايومئ لامحالة أنّ التّراكم الفكري العربي، بدا عوناً للنّاقد في تطعيم الصّياغة التّرجماتيّة بما يتواءم ومضامين النّقد البنّاء.

### 3.1: بين مصطلحي: سمة وعلامة (Signe et Marque):

يُعدّ مصطلح "سمة Signe" من المصطلحات السّيميائيّة التي عنى بها مرتاض في تنظيراته المصطلحاتيّة السّيميائيّة، وقد أرجع هذا المسمّى

---

1ـ د. أحمد حساني: إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانياتية، مداخلة ضمن ندوة المجلس الأعلى للغة العربية الموسومة بـ: أهمية الترجمة وشروط إحيائها، مطبعة دار الهدى 2007م، ص235 وموقعها على البريد الإلكتروني: WWW.elhouda.com.

2ـ د. عبد الملك مرتاض: نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، مجلة تجليات الحداثة السنة الأولى العدد الأول 1992م، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران السانية، ص21.

إلى العرب أنفسِهم، لأنّهم عاشوا وَقْعَ السّمة منذ أقدم العصور، وكانت هذه الأخيرة تعني عندهم الشّيء الكثير، ومورد يتضامّ في الغالب الأعم بسبل عيشهم وتواصلهم، وحتّى معتقدهم؛ لجأوا إليه زرافات ووحدانا في التّعبير عن مشاعرهم، وما يكتنفها من فرح وترح، فجعلوا لكلّ ذلك مبنىً سيميّاً يمكّنهم من تشفير رغباتهم المدفونة في شكل إتّفاق جمعوي، ولذلك تنبئنا كتب التّأريخ الأدبي عن أنّ الأمم تعاملت مع هذا المفهوم السّيمي «في جملة من المظاهرالتي ربّما أهمّها الاشارة، واستخدام اللّون، وإقامة الطّقوس المتعلّقة بممارسة الشّعائر الدّينيّة والتّعبير عن الأفراح»[1]. وسعياً منه إلى إيجاد حلول مقارناتيّة بين السّمة والعلامة، رأى النّاقد «أنّ العلامة تنصرف إلى معنى قريب من مادّة وسم، دون أن يكونه في الاستعمال العربي، ولعلّه أن يكون آتياً من "العلامة والعلم" بمعنى الجبل ومنهم أخذوا علامة الثّوب لدى القصار حتّى تُمَيّزَ الأثواب بعضها عن بعض»[2].

ومحاولة منه الانتصار لمصطلح سمة Signe على مصطلح علامة Marque، يحاول جاهداً وضع مبرّرات علميّة تستند إلى النّهج المقارناتي بين المسمّيين، من ذلك مثلاً: أنّ العلامة Marque –حسب اعتقاده– وظّفت بمعنى اللاّحقة التي تتبع الفعل والاسم على حدّ سواء، وتوظيفها يزيد الطّين بلّة في اضطراب المصطلح، ويتوسّم في السّمة تقارُباً بينها وبين ما نعّته الغربيّون باسم: Signe، وبالرّغم من كلّ هذا نجده في مواضع أخرى يتذبذب في تدقيق مفهوم السّمة Signe، ويراوح مفهومه مع مصطلح القرينة Indice، بقوله: «مفهوم السّمة معادل في كثير من الوجوه للقرينة Indice»[3] مثّلَ لكلٍّ هذا بالظّاهرة الطّبيعيّة، التي تبتدئ بلون داكن كاسح وجه السّماء، مكوّنا سمة أو قرينة دالّة على عاصفة وشيكة الحدوث، وعليه فنحن أمام عنصرين:العنصر"أ" متمثلاً في السّحاب الذي يغطّي السّماء وهو حاضر مرئي، بينما العنصر"ب" فهو المنتوج المنتظر من وراء هذا السّحاب ويعني هنا المطر الوشيك الهطلان، وهو عنصر غائب يتحدّد بعنصر حاضر، والحاضر هنا هو السّحاب الذي يمثّل السّمة تمثيلا حيّا.

---

1ـ عبد الملك مرتاض: بين السّمة والسّيميائيّة، مجلة تجليات الحداثة، جامعة وهران، العدد الثاني، يونيو 1993م، ص11.

2ـ عبد الملك مرتاض: المرجع السّابق، ص11.

3ـ المرجع نفسه، ص11.

نخلص من هذا المعطى التّنظيري إلى أنّ النّاقدَ يحاول جهده تخليص المصطلح من عبث التّرجمة، بيد أنّه لايفتأ يراوح مكانه في عدم ضبطه لحقيقة المصطلح الأمثل، وهذا ما نستنبطُهُ من خلال اعتباره -في ممارسته النّقديّة- المصطلحات الواردة مختلفة داليّاً، ومؤتلفة مدلوليّاً.

**4.1: بين مصطلحي: التبليغ أو الإبلاغ والتواصل (Communication):**

لعلّ ما خاض فيه الدّكتور مرتاض من تقنين منهجيّ، مكّنه من اجتزاء العناصر المصطلحاتيّة، ضمن مسارب الوضع المصطلحاتي، وأدّى به في الوقت ذاته إلى رسم قواعد منهجيّة استبطانيّة، تُستلهم بفضلها حيثيات المصطلح الواحد؛ وهذا طبعاً بالمزاوجة بين استعمالات الحاضر، وإرهاصات الماضي، فنجده يقيم رابطة قرابة بين مصطلح Communication ومصطلح التّبليغ أو الإبلاغ، ويشين بمقابلته بمصطلح التّواصل فيقول: «إصطنع السّيميائيّون العرب مصطلح (التّبليغ أوالإبلاغ) مقابلا للمصطلح الأوروبي Communication وهو في تمثّلنا أدقّ وأدلّ على هذا المعنى من مصطلح التّواصل الذي قد يشيع كتابات بعض النقّاد العرب المعاصرين، ذلك بأنّ المصطلح الأوروبي إنّما ورد في أصوله على صيغة التّعدّدية المعنويّة، على حين أنّ معادله العربي(التّواصل) لم يرد في العربيّة بهذا المعنى، بل هو محايد لا يتعدّى إلى أيّ معنى في غيره وإنّما يقتصر على ما فيه من معنى في نفسه»[1]. أمّا التّبليغ في نظره فهو» يشمل بالمفهوم العام للوضع: الإخبار أونقل أمر من أعلى إلى أدنى أو من أعلى إلى مستوى مماثل له في الدّرجة، وهو لفظ قديم الاستعمال في اللّغة العربيّة، والاسم منه البلاغ، وقد ورد في القرآن العظيم وصفاً لوظيفة الأنبياء المرسلين إزاء من أرسلوا إليهم من الأمم ليبلّغُوا رسالات الله»[2].

كما نلفيه يتعامل مع المصطلح الغربي Déconstruction الذي» نشأ في رحاب فلسفة جاك دريدا والذي اقترن بمنهج فكري وإجرائي قائم بذاته، يستخدم عبد الملك مرتاض مقابل هذا المفهوم مصطلح التّفكيك كما هو شائع في القاموس الاصطلاحي العربي»[3]. وفي فحوى هذا

---

1ـ نفسه، ص13.

2ـ نفسه، ص13.

3ـ د. أحمد حساني: إشكالية المصطلح في الترجمة اللسانياتية، المرجع السابق، ص252.

المصطلح أبرز مصطلحات أخرى يعني بها ما يعنيه بالتّفكيك ومن بينها:

### 5.1: مصطلح التشريح:

استعمل هذا المصطلح استعمالاً وقتياً، ليفي بحاجته النّقديّة، وبعدها وجد أنّ هذا المصطلح أقرب إلى مفهوم القراءة المجهريّة Micro-lecteure أكثر من مصطلح التّشريحيّة Déconstruction أو التّفكيكيّة كما نعتّه بعض النقاد، ولكنّا حينما نعود إلى القواميس العربيّة في بيان مدلول مصطلح التّشريح، نلفي ابن منظور يقول: «الشّرح والتّشريح: قطع اللّحم عن العضو قطعا...والشّرح: الكشف، يقال: شرح فلان أمرَه أي أوضحه...وشرح مسالة مشْكَلَة: بيّنها...وشرّحه: فتحه وبيّنه وكشفه...وشرح الله صدره لقبول الحق فاتسع، وفي التّنزيل: فمن يُرد الله أن يهديَهُ يشرح صدره للإسلام-الأنعام الآية 12...»[1]. ويبدو المصطلح إذ ماعاينّاه رهن تّفسير وتيسير للمجال اللّساني الذي يستقطب الايضاح والجلاء وفضّ الحجب عمّا احتجب من رؤية دلاليّة، ولذلك يكون بالإمكان استخدامه وقتما نريد تنعيت مقاربتنا اللّسانيّة، والولوج إلى كسر الرّؤى الغامضة في النّص مادامت دراستنا تستند إلى خصوصية الكشف، والبحث عن الغائب الحاضر في النّص.

### 6.1: مصطلح التقويض: Déconstruction

ظهر في السّاحة النقدية المصطلح الأجنبي (Déconstruction)، وترجمه بعض النقاد بـــ: مصطلح التّفكيك ومنهم النّاقد السّعودي عبد الله الغذّامي، ولكنّ عبد الملك مرتاض يقترح استعمال مصطلح التّقويض إذ يقول: «نقترح استعمال مصطلح "التقويض" مقابلا للمصطلحين الإنجليزي والفرنسي Déconstruction و Déconstruction عوضا عن مصطلح "التّفكيك" الذي بدأ يشيع بين النقاد العرب لأنه لا يستطيع أن يحتمل ولا أحد يستطيع أن يجعله يحتمل دلالة المصطلح الأجنبي من الوجهة المعرفية».[2] وقد ترجمه مرتاض إعتمادًا على فهمه له من جهة، وعلى وجود قرائنه الدّلاليّة في اللّغة العربيّة من جهة أخرى، ذلك أنّ القصدَ منه هو «الإتيان على هيئة من الهيئات، أو أيّ شيء

---

1- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر (دت)، ج2/ص497.

2- عبد الملك مرتاض: نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس)، مجلة "علامات"، مج9، ع34، 1999م، ص280.

مادّي أو معنوي، ثمّ إقامة بناء جديد على أنقاضه وبوحي منه»[1] وعند عودتنا إلى كتاب لسان العرب لابن منظور وبحثنا عن معنى: فكك وقوض، رأينا ابن منظور يقول عن الأول: «»"قوّض البناءَ: نقضه من غير هدم، وتقوّضَ هو: انهدم مكانه وتقوّض البيت تقوّضاً، وقوّضته أنا" ويقول أيضا:"وانقاض الحائط، إذا انهدم مكانه من غير هدم"، ويقـــول عن الثاني:" فككت الشّيءَ: خلّصته وكذلك التّفكيك..."».[2]

غير أنّنا نتساءل هنا عن مدى مشروعيّة مآل إليه ناقدنا، في دحضه للتّفكيك. فنقول: أليس من الجائز الأخذ بالمسمّيَيْن، وأنّ الثانيَ أجلى وأدق في بيان المعنى من الأوّل؟!*

### 1-7: التناص أو التكائب مقابلا للمصطلح الأجنبيIntertextualité:

يشيد مرتاض بمصطلح التّكائب ويجعله بديلاً عن مصطلح التّناص، وعلّته في ذلك أنّ التّناص شامل لجلّ العلوم، ولايليق بالمقام الابداعي. والتّكاتب- في نظره- تأثّر الكاتب بالكتابات الأخرى، دونما إلتفات لجنس هذه الكتابة وطبيعتها، ومن واجبنا «أن نتصوّر جريان مصطلح التّناص في الكتابات الاجتماعيّة والفلسفيّة والتّاريخيّة واللاّهوتيّة وسواها ممّا نريد من نصيب التّناص، وخطورة تعميمه وهما أمران يجعلانه غير لائق بأن يقوم مفهوماً في مجال الإبداع الأدبي الخالص... وتأسيساً على هذا استحدثنا ما نطلق عليه التّكائب»[3].

وضمن السياق نفسه، يورد الكاتب بعض المفاهيم التي تدخل في حكم التّناص، ومن بينها: «أنّه تشرّبٌ: تشرّب مبدع بأفكار آخر، أو آرائه أو أسلوبه، وهو تأثير: تأثير هذا الكاتب في ذلك، وذلك الشّاعر في هذا النّص، وهو تضادّ: يختلف واحد مع الآخر فيكتب ما يكتب على سبيل التّضاد، وهو تشابه: تشبيه كتابة بكتابة، وكلام بكلام، وهو إن شئت:

---

1- عبد الملك مرتاض: بين التناص والتكاتب الماهية والتطور، مجلة قوافل، النادي الأدبي الرياض السنة الرابعة، المجلد الرابع العدد السابع 1996م، ص198.

2- ابن منظور: لسان العرب، المصدر نفسه، ج7 /ص24،ص225. ج10/ص 475.

*- أوليس هو القائل: «إن التفكيك لغويا يعني تجزئة كيان مركب منقطع، ثم إعادة تركيبه، كما كان من ذي قبل، كتفكيك قطع محرك، أو أجزاء بندقية، وهلم جرا. فالتفكيك لايعني ضياع أيّ جزء من الشيء المفكك»ينظر: عبد الملك مرتاض القراءة وقراءة القراءة، خوض في إشكالية المفهوم، مجلة علامات، جدة السعودية ج15مجلد 14سنة 1995م، ص201.

3- عبد الملك مرتاض: القراءة وقراءة القراءة، خوض في إشكالية المفهوم، مجلة علامات، جدة السعودية ج15مجلد 14سنة 1995م، ص201.

معارضة، وهذا المعنى نسمّيه التّضاد، بيد أنّ المعارض لايكتب، على سبيل المناورة ولكن على سبيل التحدّي أو الاعجاب أو التّلميح أو التّلطيف، وهو إن شئت: تلاقي أفكار وانضمام أطراف أو توارد خواطر»[1]

كما نلفي النّاقد يقتني مصطلح التّفاعل باعتباره الرّكن الرّكين في تنميط النّص، وتجهيزه بجَهازه قبل لحظة الميلاد لأنّ «التّفاعل الذي يحدث بين كتابة الكاتب والمؤثّرات الأخرى الثّقويّة العامّة فهي تنضوي تحت مفهوم التّناص كما تنضوي تحت مفهوم التّكاتب»[2].

### 1.8: بين المكان والفضاء والحيّز L'espace:

ونحن نستقرئ أعمال الدكتور مرتاض، وإسهاماته النّقدية- من لدن الاصطناع المعجمي- شعرنا برغبته تدقيقَ المفاهِيم اللّغويّة العربيّة، سيما حين حديثه عن مفهوم الحيــّز- ضمن كتابه (الأدب الجزائري القديم- دراسة في الجذور-)؛ فقد طفق يبحثُ فِي مفْهُوم مصطلح الفضاء- الذِي يُقَابِلُهُ السّواد الأعظم من النُّقَّاد بمصطلح L'espace- ويستبدله بمصطلح الحيــّز، حين يقول: «ويصطنع النقاد العرب المعاصرون مصطلح الفضاء الذي لا نراه ملائماً لكلّ أطوار هذا المفهوم السّيميائي الحداثي، ممّا حَمَلَنَا على التفرّد بالتّعبير عن الفضاء بـــ: الحيّز، وقد اجتهدنا في تبرير هذا الاستعمال في مواطن أخراة من كتاباتنا الحداثيّة»[3].

ولئن كان النّاقد قد أتى بهذا المصطلح اللُّغَوي لكشفِ ضعف المصطلح الأوّل (الفضاء)، فإنّه - من وجهة أخرى- قد قلّل من قيمة مصطلح المكان، الذي يدخل أيضاً في تواشج حقيقي مع مفهوم الفضاء، وأنّ له قيمة محدودة على غرار مفهوم الحيّز؛ والمكان- في نظــره- «يحيل على موقع جغرافي بعينه من الأرض كأن يكون بلدًا، أو مدينة، أو قرية، أو حيـــّا، أو شارعاً أو بناية، أو جبلاً، أو حقلاً...وهلمّ جرًّا ممّا لايكاد يُحصى من أضرب المكان»[4].

ثمّ إنّ السّبب في اعتناق النّاقد هذا المصطلح-أي الحيّز- هو أنّه يستوعب عدّة مناحي في الحياة من ذلك أنّه «يستطيع أن ينصرف إلى

---

1- عبد الملك مرتاض: بين التناص والتكاتب الماهية والتطوّر، المرجع السابق، ص188.

2- عبد الملك مرتاض: المرجع نفسه، ص200.

3- عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم(دراسة في الجذور)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع-الجزائر-طبعة2005م، ص166.

4- المرجع نفسه، ص166.

اليابس والمائي، وإلى الملموس من المكان، والأبعاد والأحجام، والأثقال، والقامات، والامتدادات، والأشكال على اختلافها»[1].

يصوغ النّاقدُ رأيه وفق رؤية فيزيائيّة، تحاول الفصل العلمي والعملي، في مسار كلٍّ من الحيّز والمكان، فرأى أنّ للأوّل طواعيّة الاندماج في مكامن النّص قبله وبعده، وله جاذبيّة التّعالق في النّص الأدبي كيفما كانت نمطيّته، بل له الوجود القبلي قبل ازدياد النّص، بلْهَ قبلَ تكوينه في العقل البشري؛ ويعطي لهذه الرّؤية النّاشئة قانوناً ظاهراتيّاً لايعدم أن ينمازَ في الوجود والعَدم، ويسمّي تلك النّظرة باسم الحيزيّة الخلفيّة والحيزيّة المتسلّطة، يقول في هذا الصّدد: «ولقد توسّعنا نحن في بلورة هذا المفهوم إلى أن بلغنا به التماس الحيزيّة الخلفيّة، أو الحيزيّة النّاشئة عن الإطار المحيط، مع محاولة التحسّس الشّديد للحيزيّة المتسلّطة على كلّ النّصوص الأدبيّة مع اختلاف في طبيعة الثّراء والضّحالة»[2]، ولعل تلك النّظرة المرتاضيّة تحاول خلخلة البناء المحدود، من مثل ماروّج له جيرار جينات Gerard Genette، حين تنظيره لمصطلح المكان ضمن المتن السّردي.

والباحث لا يستميله المصطلح فيتعثّر في ردم المعنى، بل نراه يستقصي ما من شأنه الحفاظ على وتيرة المعنى المقصود، لذلك نخاله يتحسّس نبضَ المعنى حتّى إذا امتلأت قوّته الدّلاليّة إيضاحاً، أوجد له مصطلحاً يتجانس وديناميّته الحقّة، وهذا ما نلمسه في قوله: «أمّا نحن فقد توسّعنا في مفهوم الحيّـز الأدبي فحملناه على أن يمتدّ إلى أدقّ المشمولات الحيزيّة المتناهية اللّطف، وحاولنا تحسّسه تحسّساً رهيفاً لدى تحليلنا النّصوص الأدبيّة»[3].

. وفي الجانب المقابل نلفيه يدحض مقولة المكان لما فيها من محدوديّة الأفق، وبالتّالي فالقول بها تعتيم للرّؤية الإبداعيّة المنبسطة، مادامت العفوية تقتضي اللاّمحدود في مقابل المحدود، وهو إذ ذاك يشرح عوامل هذا الترقّع بقوله: «إنّ معظمَ النقاد العرب ومحلّلي النّصوص الأدبيّة لا يتوقّفون إلاّ لدى المكان الصُّراح فيتناولونه، وربّما اقتصر ذلك، بحكم هذه السّيرة، على الأعمال السّرديّة وحدها، وهم حين يذهبون إلى أبعد من ذلك، وربّما لم يفعلوا قطّ، بل يقفون مساعيهم على الخطوط والأبعاد المكانيّة الصّريحة...وهي سيرة، إن حدثت،

---

1ـ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، دار المنتخب العربي ـ بيروت ـ ط1ـ1994م، ص179.

2ـ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، المرجع السابق نفسه، ص166ـ167.

3ـ المرجع نفسه، نفسه، ص167.

مقتبسةٌ من الأنشطة التّحليليّة الغربيّة، كما ورد بعضها في أعمال جيرار جينيت «Gerard Genette»[1].

إنّ ما يستميل القارئ لهذا الجنوح والصّمود المرتاضيين، يجعله يستنبئ عن بعد دلالي أراده مرتاض كيما تختلط نوابع الحيّز بالمكان، هذا من جهة ومن أخراة نستلهم بواطن التّحليل المعلّل ماثلةً في أغلب تنظيراته المصطلحيّة. إنّ فكرة المكان في نظره كشفٌ عليل للمقدرة الإبداعيّة، مادام الإبداع في أغلبه قد قُدّ من كيان مفتوح، لا تستسيغه تقاسيمُ المكان، لأنّه يدلُّ عموماً على التّحديد الباهت، وفي الوقت ذاته نلفيه يُعلي من شأن الحيّز لا لشيء، إلاّ لأنّه يستوجب بحكم مدلوله قسْرَ المصطلح على دواليب العمل الفنّي بمختلف مشاربه.

لا ضيرَ إذن، من ترصّد مجالات الحيّز الملتوية في دواخل النّص، والمتماهية خلفه وهي أجياز ما تنفكّ تتّحد وتتراصّ لتكوّنَ مسارَ المدلول الذي أراده المبدع، ولا أدلّ على ذلك ممّا طبّقه النّاقد على بعض الأبيات الشّعريّة للشّاعر الجاهلي امرئ القيس، وهي نتف منتقى من معلقته التي مطلعها: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل[2]

### 9.1: مصطلح الزّمن المقنّع Le temps masqué:

وهي مظاهر زمنيّة متعدّدة، تضطلع بحال الشّخوص في لحظة من اللّحظات «وبإدراج هذا المقوّم في السّياق الوارد في النّسج المحلّل ندركُ مظاهر زمنيّة أخراة، وهي ما نطلق عليه نحن الزّمن المقنّع Le temps masqué وذلك مثل مهنته: وهل هو فلاّح في حقل، أو عامل في معمل، أو مهندس في مصنع، أوطبيب في مستشفى، أو أستاذ في جامعة...؟ وكلّ هذه المهن يُفضي إلى تصوّر أزْمُن أخراة تتّصل بزمن الرّجُل كزمن التعلّم، أو زمن التمرّس على العمل المتّخَذ له حرفة، أو زمن الممارسة نفسه...»[3]

ثمّ إنّ الزّمنَ الذي ابتغاهُ النّاقد ليس سوى أطر زمنيّة يشدّ بعضها البعض في نسق ارتجالي، تجلّيه وتحلّيه نسقيّة اللّغة، وتتماهى أطُرهُ- أي الزّمن المقنّع- في الفعل والاسم على حدّ سواء، وهاتيك الأزمنة تتفاوت قوّةً وضعفاً مردّها إلى المُعجم اللّغوي في حدّ ذاته، ومن ثمّ إلى المدلول المصاحب لعمليّة الأداء اللّغوي.

---

1ـ عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم، المرجع السابق، من ص166 إلى181.

2ـ المرجع نفسه، من ص183ـ199.

3ـ نفسه، ص167

### 10.1: مصطلح المواسم La sémiosis:

أتى الأستاذ مرتاض بمصطلح المُواسم (بضم الميم وكسر السّين)، مرادفا للمصطلح الغربي La sémiosis بقوله: «بعد تأمّل طويل في معادل عربي للمصطلح السّيميائي semiosis ارتأينا أن نقترحَ له مصطلح المُواسم وذلك بعد قراءة كتاب السّمةLe signe ;labor.Bruxelles 1988 لأمبرطو إيكو [Umberto eco]، بدل السّميوزة التي تظلّ لا تعني شيئاً في اللّغة العربيّة غير القصور عن إيجاد مقابل عربي يكون له الحدّ الأدنى، من العلاقة بالمعنى الأصلي المستعمل في اللّغة السّيميائيّة الغربيّة...»[1]

ويظهر المصطلح في عمومه شكلاً من أشكال المسمّيات اللاّمحدودة المشربéLa sémiosis illimitée، ولعلّ مرتاض لم يرَ في ترجمة المصطلح بدًّا من إظهار دلالته الحقة، فلجأ إلى الاحتكام إلى التّراث العربي بعد قراءته لكتاب أمبرطو إيكو [Umberto eco] السّابق ذكره.

### 11.1: مصطلح التحلِفسِي مقابل Psychanalyse:

إنّ الوارد من حوض المصطلحات الغربية المترجمة إلى العربيّة، يلفي هناك ترجمة حرفيّة لما يُراد نقله من معرفة، كمصطلح Psychanalyse الذي نلمح مقابله العربي: التحليل النّفسي، وهذا أمر شائع وذائع حتّى في الكتب النّقدية من يوم أن ولد المصطلح الغربي، بيد أنّ عبد الملك مرتاض .تقفّى هذا المصطلحَ، وبحث عن حقيقته المعجميّة من خلال استناده على قاعدة النّحت التّرجماتيّة، لأنّ بقاءَ صفة النّعت والمنعوت – في نقل المصلح دائما – قد تجعل منه مُبتسرًا في مفاهيمه التي أنشئ من أجلها، لذلك رأى أن ينحتَ «مصطلحاً من اللّفظين الاثنين ليُصبحَ لفظاً واحداً مركّباً (مع الخروج عن قاعدة الخماسي التي يقوم عليها الاستعمال في العربيّة حين ينحتون مصطلحاً من لفظين اثنين، أو حتّى من طائفة من الألفاظ كقولهم: "الحمْدَلة" لعبارة "الحمد لله"... ممّا سيضطرّنا حينئذٍ– كما نأتي ذلك اليوم في كثير من أطوارنا ونحن نتعامل مع المصطلح– إلى استعمال الوصف كما هي الحال هنا) هــو: "التّحلِفسِي"، أخذنا الجزءَ الأوّلَ من لفظ التّحليل (التّحل)، والجزء الأخير من لفظ "النّفسي"، ثمّ مزجنا بينهما، أو نحتنا من الاثنَين لفظاً واحداً مركّباً من عنصُرين اثنين، ليُصبحاً على ما اقترحناهما عليه، ولو اتّبعنا قاعدة النّحت الخماسيّة لكنّا قلنا مثلاً:

---

1د.عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، المرجع السابق، ص92

"النّحْلِسِّي"، وحينئذٍ يغتدي المصطلحُ بعيدًا عن أن يحتوي المعْنيين الاثنين الأصليَيْن، وأمّا الذين قد يرون بضرورة الإبقاء على المصطلح الشّائع في الاستعمال اليوم، وهو: "التّحليل النّفسي" فإنّ ذلك لا يكون طيّعاً في كلّ الاستعمالات وتقليباتها، وسنظلّ بذلك عاجزين عن نقل بعض المفاهيم الأجنبيّة، بهذا الصّدد، على حقيقتها ودقّتها»[1].

يسترعي انتباهنا من خلال العرض المرتاضي نوازعُ اصطناع المصطلح العربي وتفعيله، بشكلٍ يتناءى عن مضامين النّقد التّقليدي، وهو لذلك حريص على تطوير مجاري اللّسان العربي، من خلال تفعيل القاعدة اللّغويّة العربيّة تفعيلاً علميّاً يستند على نهج علمي ترجماتي، يتجلّى بالخصوص في مصطلح النّحت، وهو مصطلح له ما يبرّره في ميزان الصّرف العربي، ومن هنا يكون حريّ بنا الالتزام بقوانينا العربيّة، ومحاولة استحداثها في مواطن الحداثة، حينما نعمد إلى نقل المصطلح وتقعيده في اللّغة العربيّة.

### 12.1: بين البنيويّة والبِنَويّة: Le Structuralisme

انطلق الدّكتور مرتاض من التّراث النّحوي العربي في مساءلة مصطلح بنيويّة وبِنَويَّة، كونهما مصطلحان يعتورهما شيءٌ من الغموض في بيان حقيقتهما، ولذلك أعاد التّنقيب في كتاب سيبويه، فوجد الأمر كما اعتقد، واستغرب في كيفيّة بقاء الاستعمال الخاطئ لمصطلح "بنيويّة"، وهو بهذا كان قد عقد فصلاً كاملاً، أراد من خلاله الــتّعريج على مغبّة الفهم، ثمّ التسرّع في وسم الأشياء وسماً لا يليق بمقامها من جهة التّمادي في استعمال المصطلح دونما دراسة تحليليّة لاشتقاقاته، وكشف النّاقد في الأخير عن حقيقة إنتاج المصطلح الأمثل من خلال إستناده على قواعد النّحو العربي القديم، فقال: «ولقد كثُر الحديث من حول البناء اللّفظي السّليم الذي يجب أن يكون عليه هذا اللّفظ، ووقع الإصرار لديَّ نهاية الأمر، على أن يُطلِقَ كثيرٌ أو قليل من النّقاد العرب المعاصرين، الذين قد ينقص بعضَهم شيءٌ من الحسّ اللّغوي المصقّى: أن يتداولوا الاستعمال الخاطئَ، وهو بنيويّة، وذلك عوضاً عن الاستعمال النّحوي السّليم الذي هو إمّا "بنييّة"، وذلك كما تقول في النّسبة إلى "فتية" "فتيٌّ" على القياس، لأنّكَ تُجريهِ مُجرى ما لايعتلّ، وهو مذهب أبي عمر بن العلاء، كما يمكن أن يقال: "بِنَويّ" وهو في رأينا أخفّ نطقاً، وأكثر اقتصادًا لغويّاً، وهو مذهب يونس بن

---

1- المرجع نفسه، ص135-136.

حبيب، ويمكن العودة إلى سيبويه في باب "الإضافة" لتحقيق هذه المسألة والتأكّد من الإستعمال السّليم الذي يقتضي إمّا أن يكونَ على أصل اللّفظ الذي هو "البِئْيَة" فيُقال: "بِئْيِي" وهو الاستعمال الذي اختاره جميل صليبا، وهو ثقيل في النّطق، وإمّا أن يكون على القلب فيقال: "بِئَوي"، وهذا الاطلاق بالإضافة إلى سلامته من الخطأ، هو الأخفّ بالضّرورة نطقه على اللّسان والأجمل حتماً وقعه في الآذان»[1].

إنّ الأخطاءَ التي تداركها الباحث، تجعلنا نبني حسّنا الحداثي بالرّجوع إلى مقرّرات التّراث العربي، وإتقان قواعده بشكلٍ يجعلنا نهتدي إلى رُكنٍ رشيد في التّراث العربي، يمكّننا من صياغة المصطلح الغربي، ومن ثمّ فإنّ دأبَ النّاقد خليقٌ بنا أن نلتفت صوبَه، وأن نقرأ قراءاته، بل أليس من الأفيد لنا الرّجوع القهقرى لمُدارسه تعاليم الصّرف والنّحو العربيّين؟! والإفادة أيضاً من مسلّمات الحداثة الغربيّة، بأطُرها وقواعدها العلميّة؟! وهذا ما من شأنه أن يُولّدَ فيضاً غزيراً في تحديث النّحو والصّرف العربيّين، ومن ثمَّ إنتاج بلاغة عربيّة جديدة – على غرار البلاغة الغربيّة التي أعيد تحديثها بما يتواءم والخطاب النّقدي المعاصر – قادرة على بلورة الأحكام النّقديّة في جميع مشاربها.

ثمّ إنّ رُؤى النّاقد هاته لم تتولّد من فراغ، بل كانت عُصارة جهدٍ جهيدٍ، ووقتٍ مديد، عايشت رؤى النّقدين السّياقي والنّسقي، ولا زالت تعايش ما تجود به الأقلام الغربية والعربية على حدّ سواء.

إنّ دعوة كهذه تجعلنا في جانب آخر من بحوثنا نتحرّى الصّواب في استرفاد المصطلح أو قل: ترجمته من خلال العودة إلى الإستئناس بقواعد التّحبير المعجمي، حتّى نتّقي شرّ الوقوع في الزّلل المصطلحاتي.

### 13.1: مصطلح "رَكْبَرَة": Le syntagme

من أبرز المصطلحات المستعملة في اللسانيات مصطلح ( Le syntagme) الذي يترجمه بعضهم بمصطلح (السانتام)، وهو تركيب يتألف من وحدتين لغويتين فأكثر، ويعد دوسوسيرالواجد الأوّل لهذا المصطلح، غيرأنّ الدّكتور عبد الملك مرتاض يدلي بترجمة، تبدو من الغرابة بمكان كوننا لم نتعوّد على نطقها، وهذا المصطلح هو رَكْبَرَة، وقد استخدم لذلك قواعد "النحت"، وأجرى بعض التّغييرات المنهجيّة في استخلاص مادّته المعجميّة، وقال في هذا الصّدد: «لقد اقترحنا للمفهوم الأجنبي Syntagme، الذي يعني في لغة دوسوسير De

---

1ـ د.عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، المرجع السابق، من ص190 إلى ص 192.

Saussure... كل عنصر مركب في سلسلة الكلام، مصطلح "ركبرة"، وقد نحتناه من فعلين: رَكِبَ بمعنى ألف الكلام، و(عَبَرَ) بمعنى بلَّغَ الرسالة وأوصلها إلى المتلقي، ذلك بأن المقصود من اللفظ الأجنبي هو تلاقي سلسلة من العناصر النحوية واللغوية داخل جملة واحدة، حتى إن شارل بالّي Bally الفرنسي عرف هذا المصطلح بكونه نتاجا لعلاقة بين مرتبطات نحوية قائمة بين إشارتين (Deux signes) معجميتين تنتميان إلى صنفين، أحدهما يكمل الآخر.»[1].

### 1ـ14: مصطلح "رسالات": Messages

يُترجم النّاقد عبد الملك مرتاض المصطلح الغربي Messages بلفظ رسالات، وهو يخالف النقاد الذين يترجمونه بـــ رسائل، ويبدو بذلك ملتزماً بالتّعليل العلمي- كما أسلفنا- وهذا ما نستجليه في قوله: «آثرنا اصطناع لفظ رسالات لنطلقه على المفهوم الألسني المعروف في اللغة الفرنسية تحت لفظ Messagesعوضا عن رسائل، لأن لفظ الرسائل ينصرف في العادة إلى جمع تكسير رسالة بمعنى كتاب يرسل من شخص إلى آخر، على حين أن لفظ الرسالات إنما هو جمع لرسالة بمعنى نبوة؛ أي بمعنى تبليغ أمر سماوي إلى أمةٍ بعينها، وقد ورد لفظ رسالات بهذا المفهوم الديني سبع مرات في القرآن الكريم، منها قوله تعالى:﴿ لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم﴾ -[سورة الأعراف، من الآية 93]»[2].

### 1ـ15: مصطلح "بدعدة": Récurrence

يستعمل الدّكتور عبد الملك مرتاض مصطلح بَدْعَدَة، ويقابله بالمصطلح الغربي Récurrence مستنداً إلى قواعد "النحت"، ونراه يصرّح في كتابه "شعرية القراءة" بما نصّه: «يطلق السيميائيون هذا المصطلح - أي- Récurrence على كل عنصر ألسني يتكرر، أو يعيد نفسه، فارتأينا أن ننحت هذا المصطلح- أي بدعدة- من بدأ وعاد: (بَدْعَدَ يُبَدْعِدُ بَدْعَدَةً)؛ فكانت- إذن- البدعدة.»[3].

صحيح، أنّ النَّفَسَ العلمي حاصل في أعمال الدّكتور مرتاض، بيد أنّه قد يوقع ما يستحدثه من مصطلح في طيّ النّسيان، وتبريرنا في ذلك

---

1ـ د. الملك مرتاض: "النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1ـ 1983م، ص97ـ98.

2ـ الملك مرتاض: "النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟"، المرجع السابق، ص37.

3ـ د.عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، المرجع السابق ص 42.

هو أنّ تعليميّة اللّغة تتوخّى جانب القرابة في المصطلح، كما تتوخّى أيضاً حداثة الكلمة القريبة من الاستعمال، وهذا ضرب من جعل اللّغة -في هذا الموضع بالذّات- غريبة لا يستميلها اللّسان. وعلى هذا الأساس فدعوانا تمازج بين الميول تارة، وبين النّفور تارة أخرى، تهزّنا براعةُ الاستحداث المصطلحاتي- في كثير من جوانبها- وتدلّنا بالخصوص على شهامة النّاقد العلميّة، بينما ترانا نتساءل بعدها عن إستحداثاته التي تدع من المصطلح غريباً، وفي مجتمع تخطّى هذا النّمط من اللّغة، أوَليس من الواجب علينا في هذا الظّرف بالذّات إيجاد بدائل مصطلحاتيّة أخرى تعزّز الرّكنَ اللّغوي الآني، كي نصل إلى ربط الخارج من اللّغة بالدّاخل فيها- أعني وصل القارئ المبتدئ بالباحث المتمرّس العارف بخبايا اللّغة، من خلال تقريب هاته الأخيرة وتذليلها للقرّاء، بجعلها مرنة عذبة، لا نشاز فيها للوصول إلى ضبط الأداء اللّسانياتي- ولأنّ التّنافر الصّوتي يشلّ فصاحة حتّى أهل البلاغة والبيان، فما بالك بقوم يعيشون في فترة أصبحت فيها اللّغة حكراً على الدّروس الأكاديميّة، وبيسرها لم تلقَ القبول والتّفاعل في مؤسّسَاتنا التعليميَة، فكيف بها تُقبل وهي نائية عن الاستعمال؟!.

**ثانيا: خلاصة البحث:**

نستوحي ممّا ثبت في أعمال الدّكتور عبد الملك مرتاض أنّ مجال بحثه في المصطلح والمصطلحيّة، أكسب النّقد الجزائري ميدان الرّيادة، وأسّس لبعض الرّكائز والرُّؤى العلميّة، التي ما فتئت تُناور في حقل المصطلح وتستفعل بعضَ القوانين التّرجمانيّة، من خلال الاعتماد على الوجهة التّطبيقيّة، ثمّ من خلال تبنّي مشروع علمي يهدف إلى مُساءلة التّراث، أي الانتقال من الماضي لمعرفة مكامن الحاضر وحتّى المستقبل.

كما أنّ رُكام الباع الثّقافي والعلمي الذي إكتسبه النّاقد، جعله يستخدم المنهج الاستدلالي الإستقرائي، من خلال ما جُبلَ عليه من معرفةٍ متبصّرةٍ بمضامين النّحو والصّرف العربيّين، أدّت به إلى خوض غمار البحث في المصطلح الأجنبي على إختلاف مشاربه، ولعلّ المقاييس العلميّة التي انتهجها هي التي مكّنته من خلق طلاءٍ مصطلحاتي مرتاضي* ينشُدُ التّقنية، ويستخدم التّعليل في ترجيح أوتفنيد بعض الاستعمالات المصطلحيّة المستخدمة في المناهج النّقديّة المعاصرة، ثمّ

---

*- تعمّدنا هذه التسمية لما لها من دلالات موحية بشأو صاحبها، في مجال الصناعة المصطلحاتية.

ونحن ندارسُ بعض القوانين المصطلحاتيّة التي اعتنقها مرتاض شعرنا بنزوع نحو التّغيير، وتَوْقٍ إلى الكشف، ومكابدة تمقّت التّساهل في صناعة المصطلح، نستشعر بهذا الانفعال الهادف مثلاً عند قوله: «وأمّا الذين سيقولون: إنّ الخطأ إذا شاع أمسى استعماله حجّة، فإنّنا نجيبهم: إنّ الخطأ لا يكون حجّة لأهل الخطأ أبداً، وإذا أصرّ طائفة من النّاس على ارتكاب أخطاء بعينها في قانون السّير، فلن يستطيعوا فرْض خطئهم على العالم بتغيير القوانين الصّائبة، وإحلال محلّها القوانين الخاطئة، إنّ الخطأ يظلّ أبداً خطأً ولاسيّما إذا كان صادراً عن أهل المعرفة، ومن هو أعرف معرفة من النقّاد؟»[1]

دارت رؤية النّاقد- فيما أحسب- حول طرائق التّسنين المنهجي، ومضامين الاصطلاح المستحدث في نقل المصطلح الغربي، لأنّ من دواعي نجاح عمليّة الترجمة أن يكون ممارسها قد أوتي بسطة في التفريق بين مدلول المصطلح ودالّه، وإلاّ كان استقراء التنظير الغربي من قبيل المستحيل.

إنّ السّنن البحثي الذي خاض فيه النّاقد عبد الملك مرتاض، لم يأت من فراغ، وإنّما بدت بعض قواعده مستمدّة من توصيات النّدوة المنعقدة أيام18-19-20 فبراير1981م بمكتب تنسيق التّعريب بالرّباط، من أجل توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي، وكذا المبادئ التي حَوَتْ جملةً من المواصفات التي يلزم توافرُها في المصطلح الموضوع مقابلا للمصطلح الوافد أثناء التعريب أو الترجمة، ومن تلك المواصفات، التي رأيناها مرتسمة في التّأسيس المصطلحاتي عند النّاقد هي:

- تفضيل المصطلح العربي الفصيح المتواتر.
- تفضيل الصيغة الجَزْلة الواضحة.
- تفضيل المصطلح الدقيق.

وأخيرًا، فإنّ الإشكاليّة -كما نعتقد- ليست في تغيّر المصطلح من ناقد لآخر، بل إنّ الإشكاليّة تعود إلى التّنافر الحالك في رؤية المدلول ومشروعيّة استيعابه، مادام المصطلحُ- في حقيقته- وجها آخر له، ذلك أنّ تغيير المصطلح قد يؤدّي بدوره إلى تغيير في فهم المدلول، وأنّ عدم استيعاب هذا الأخيرقد يؤدّي إلى فهم مغلوطٍ في رؤيتنا للمصطلح.

ومن حَسَنَات النّقد المرتاضي، أنّه أسبغ علينا بعض الفوائد التي تخصّ ضرورة الأخذ الفاحص والمتبصّر من التّراث، حتّى لا تزلّ قدمٌ، ولا

---

1- عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد، المرجع السابق ص191-192

يقع زللٌ في ترجمة المصطلح، هذا من جهة ومن أخراة، نلحظ أنّ ناقدنا قد استأثرَ ببوادر التّأريخ لنقده في كلّ مرّة بقوله مثلاً: «إنّنا اصطلحنا هذه النّسبة التي ننفرد بها...»[1].

ولعلّه-بهذا- يحاول إبراز القصور الذي ما فتئ النقّاد يدَعّونه دعًّا، حتىّ وصل إليه على حاله المغلوط، ويريد في الآن ذاته أن يفصح عن نيّة حسنة، وهذا بضرورة التبصّر والحيطة من عثرات التّقليد الأعمى، والتّنبيه إلى أنّ المسار التّرجماتي يستدعي ثقةً في مردودنا التّراثي، مثلما يستدعيه في المردود الحضاري، كما نحسّ في ثنايا مؤلّفاته دعوة القارئ إلى ضرورة الاهتمام باللّغة العربيّة، بل إنّه يَعُدُّ- في تقديري- البراعة فيها واجباً على كلّ عربيّ مسلم، وأنّ قداستها وقوّتها ومتانتها وجمالها، يحتّم علينا اعتناقها بالإبداع فيها ما دامت لا تحدّها حدود، ولا يملّ من جنانها قارئ ولا مبدع.

ثمّ من الملحوظات التي يمكن لنا إبداؤُها في هذه العُجالة، هو أنّ التّرجمة الدّقيقة تخضع لقانون علمي- وهو ما أحسسنا النّاقد يُمَعْلمُه عبر كتاباته، وهذا القانون يُفتَرَض أن يُسطَّر ويطبّق، لا أن يبقى حبراً على ورق وفي هذا المعنى يقول محمّد رَشاد الحمزاوي: «فلا يمكن أن نقرَّ على العموم بوجود ترجمة صائبة وترجمة خاطئة إلا إذا تقيَّدنا بمعطيات، وقوانين جماعية، تستوجبها التجربة والتطبيق.»[2].

وقد رأينا النّاقِدَ (عبد الملك مرتاض) يسائلُ في أكثر ترجماته المفهوم خوف الخطل، وهذا ما ساعده على فضّ الرّيب في توليد المصطلح، لأنّ»الترجمة في جملتها لا تقتصر على نقل آلي من مجموعة من الرموز إلى مجموعة أخرى، بل هي منهج للبحث عن نقل مفهومات إلى مفهومات مقابلة لها في اللغة المنقول إليها.»[3].

وممّا جلب انتباهنا أيضا هو أن النّاقدَ له حصافة نقل وتوليد المصطلح الوافد، واقتناصه من فضاءاللّغة العربيّة، ثمّ إنّه- بعمله هذا- أعطى للنّقد الجزائري خاصّة، والعربي عامّة بصيصاً من الأمل في تلقّيه لواجهة المصطلح الوافد خوف العثرات والزلاّت، وهو لذلك قدّم ولايزال نظراته النّقدُ تّاريخيَّة في حياة المصطلح، والتي يمكن لذوي الاختصاص أن يغرفوا منها، ولو بعد حين، وإنّ موقفه النّقدي هذا ينمّ

---

1ـ د. عبد الملك مرتاض: نظرية التبليغ بين الحداثة الغربية والتراث العربي، المرجع السابق، ص21.

2ـ محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها ( الميدان العربي)، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1 1986م، ص47.

3ـ مجدي وهبة: الأدب المقارن ومطالعات أخرى، مكتبة لبنان بيروت، ط1ـ 1991م، ص69.

عن ثقافة عالية وتذوق أدبي ونقدي، بدا رهن العمل المضني، الجامع بين التُّراث اللُّغوي العربي والنَّقدِ الحَدَاثِي الغربي.

## ثالثاً: مكبة البحث:

### أوّلاً: المراجع:


1- محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العامة لترجمة المصطلحات وتوحيدها وتنميطها(الميدان العربي) دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1 1986م.

2- مجدي وهبة: الأدب المقارن ومطالعات أخرى، مكتبة لبنان بيروت، ط1- 1991م.

3- د.محمّد ديداوي: منهاج المُترجم بين الكتابة والاصطلاح والهواية والاحتراف، المركز الثقافي العربي: الدّار البيضاء- المغرب، ط1- 2005م.

4- د.عبد الملك مرتاض:

- في نظريّة النّقد (متابعة لأهم المدارس النّقديّة المعاصرة ورصد لنظريّاتها)، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، طبعة 2002 م.

- دراسة سيميائية تفكيكيّة لقصيدة أين ليلاي لمحمّد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعيّة- 1990م.

- بنية الخطاب الشّعري، دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية" ديوان المطبوعات الجامعيّة- الجزائر- 1991م.

- االأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)، دار هومة للطباعة والنّشر والتّوزيع- الجزائر-طبعة2005م.

- شعرية القصيدة دار المنتخب العربي- بيروت، ط1- 1994م.

- "النص الأدبي: من أين؟ وإلى أين؟"، ديوان المطبوعات الجامعية

- الجزائر، ط1- 1983م.

5- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر (د ت) ج2.

**ثانيًا: المجلاّت والدّوريات:**

1- مجلّة تجليات الحداثة السّنة الأولى العدد الأوّل 1992م، العدد الثّاني- يونيو1993م، معهد اللغة العربيّة وآدابها، جامعة وهران- السّانية.

2- مجلّة المترجم مجلّة محكّمة تعنى بقضايا التّرجمة يصدرها مخبر "تعليميّة التّرجمة وتعدّد الألسن" جامعة وهران- السّانية- الجزائر، دار الغرب- وهران، ع 03- أكتوبر، ديسمبر 2001م.

3- مجلّة علامات ج5، م2، ربيع الأول 1413، سبتمبر 1992م، ج15/ المجلّد14، سنة 1995م، مج9/ ع34، سنة 1999م.

4- مجلّة قوافـــل، النّادي الأدبي- الرّياض، السّـــنة الرّابعة، المجلّد الرّابع/ العدد السّابع، سنة 1996م.

**ثالثًا: المراجع بالفرنسيّة:**

1-Bassam Baraké:-dictionnaire de linguistique: Français- Arabe avec un index alphabétique des termes arabes، Liban- bayrout

رابعًا: المواقع الإلكترونيّة:

1-WWW.elhouda.com.